# الأطفال اللاجئون خلال الثورة التحريرية 1954-1962
# من خلال كتاب: أطفال الحدود، قصص تاريخية لعبد الرحمان ناصر

✍ الأستاذ: محمد بن ساعو

جامعة سطيف2

**مقدمة:**

الحديث عن الطفل والثورة الجزائرية داخل الوطن، لا يغفل علينا البحث في موضوع الطفل اللاجئ في الدول المجاورة، كالمغرب وتونس، فالعديد من العائلات اضطرت إلى اللجوء تحت طائل التعسف الاستعماري، لكن هل ذلك أوقف معاناتها وقطعها عن وطنها الأم وعن جهود تحريره؟، صحيح أنها ابتعدت ولو بمئات الأمتار عن مظاهر التقتيل والتنكيل، لكن ظروف اللاجئين في المخيمات التي استقبلتهم كانت في أغلب الأحيان سيئة، ومع ذلك عاش الجزائريون هناك على أمل العودة الذي يتجدد مع إشراقة كل صباح.

شكّل الأطفال نسبة هامة من اللاجئين الجزائريين بتونس خلال الثورة التحريرية، وأمام الأوضاع المزرية التي كانوا يعيشونها، برزت جهود كبيرة لتجاوز هذه المعاناة من الهلال الأحمر الجزائري، وزارة الشؤون الاجتماعية، هيئة الأركان للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، اتحاد العمال الجزائريين، اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، والتضامن الدولي، كل هذه الأطراف كانت تسعى لتحسين ظروف اللاجئين خاصة الأطفال منهم، وفي هذا يقول فرانتز فانون: "إن أطفالنا في حاجة للابتسام فقط، لا شيء سوى الابتسام...".

سنتناول في هذه الورقة البحثية عرضا لواقع الطفل الجزائري اللاجئ في تونس من مختلف الجوانب التربوية والاجتماعية والاقتصادية...، من خلال قصة تاريخية موسومة: "أطفال الحدود"، والتي تعتبر تجربة عاشها الكاتب عبد الرحمان ناصر، وهي محاكاة لما ألفه الشاعر الشهير "ماكارنكوبيتا"، كما سنستقرئ ما ورد في الكتاب من صور فوتوغرافية تعبر عن واقع الأطفال اللاجئين بتونس.

وتأتي أهمية القصة التاريخية التي نحن بصدد الكتابة حولها ومن خلالها، في أن مؤلّفها عاش فترة هامة من حياته بين الأطفال اللاجئين في تونس وتقاسم معهم المعاناة، وهو من أنشأ أول

دار للأطفال اللاجئين بتونس، بهدف إعدادهم للمستقبل، وبذلك فهي أقرب للمذكرات التاريخية منها إلى القصة.

وتهدف الدراسة إلى الإجابة عن الإشكالية الرئيسية للموضوع، والتي تلخصها التساؤلات الآتية: ما هي القيم والحقائق التاريخية التي حملها كتاب "أطفال الحدود"؟، ما هو واقع الطفولة الجزائرية اللاجئة خلال الثورة التحريرية؟، كيف أثبت الأطفال اللاجئون أنهم "ليسوا مهجَّرين" بدون إرادة وبدون أمل؟، وما هي العلاقات التي ارتبط بها أطفال اللجوء بغيرهم من أطفال العالم، وبذلك تصدير صورة الثورة الجزائرية وخدمتها؟، كيف حوّل أطفال اللجوء تواجدهم خارج الوطن إلى نوع من النضال والتحدي الإيجابي خدمةً للقضية الجزائرية والثورة التحريرية؟، وما هي أشكال الدعم الذي قدموه للثورة؟، وكيف شكّل أطفال اللجوء فئة فعّالة في بناء الدولة الجزائرية بعد الاستقلال؟.

**1-حول الكاتب والكتاب:**

**أ-الكاتب "عبد الرحمان ناصر":**

عبد الرحمان ناصر من مواليد الجزائر العاصمة، انتقل الأستاذ عبد الرحمان ناصر إلى تونس لإغاثة ضحايا عدوان الطيران الفرنسي على ساقية سيدي يوسف 08 فيفري 1958، وبعد أن شاهد التعاسة التي يعيشها الأطفال اللاجئين في تونس قرر البقاء إلى جانبهم، خاصة وأنه مهتم بشؤون الطفولة غير المتكيفة، وكان هدفه انشاء ديار للطفولة والقيام بالتربية والتعليم، وزرع البسمة في الوجوه البريئة، ودعم الفكر التحرري فيهم، حيث يذكر المؤلف كلمات الكولونيل محمدي السعيد "سي الناصر" عندما يزور أطفال اللجوء، فيخاطبهم: "يجب أن تكونوا رجالا أحرارًا، الجزائر في حاجة لرجال أحرار"[1]

وكان وصول الكاتب إلى مخيم الأطفال بمثابة المُخلص، الذي جاء لتعليم الأطفال، حيث تولى مهمة تربية وتعليم أطفال من الجزائر خارج وطنهم، فرفع التحدي وخلق من الأطفال رجالا.

عمل الكاتب ضمن الطاقم التسييري والتربوي لأحد مراكز الطفولة بالعاصمة تونس، ثم انتقل رفقة أطفال هذا المركز إلى دار "ياسمينة"، ليقرر المغادرة إلى مركز اللاجئين "تالة" الواقع على الحدود الجزائرية التونسية، وبعد انتقال أغلب طلبة هذا المركز إلى الثانويات التونسية والتحاق بعضهم بجيش التحرير، عيّن مراقبا لدور الطفولة [2].

عاد الأستاذ عبد الرحمان ناصر بعد انتصار الثورة التحريرية إلى الجزائر العاصمة برا من الحدود التونسية فتأثر بمخلفات الحرب، وأنشأ أول دار لأبناء الشهداء "الجيل الجديد"، وكانت له

مغامرات معها أيضا[3]، ودام إشرافه عليها عشر سنوات، ليتجه بعدها لمواصلة دراساته، فهو حامل لدبلوم الدراسات المعمقة في علم النفس، وقام بعدة بحوث في علم الأحياء للسلوك بجامعة العلوم والتكنولوجيا بباب الزوار.

وتقديرا للمجهودات والتضحيات التي بذلها، تم تكريمه من طرف جمعية مشعل الشهيد، وذلك يوم 16 فيفري 2010، ضمن لقاء رمزي لفائدة المربيين التربويين لأبناء الشهداء[4].

ب-**الكتاب**:

الكتاب الرئيس المعتمد في الدراسة بعنوان: "أطفال الحدود" قصص، للأستاذ عبد الرحمان ناصر، والطبعة المستغلة هي طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة 1989. عدد صفحاته 255، وقد تضمن الكتاب مجموعة من الصور التي توثّق بعض اللحظات المميزة التي تروي حياة الأطفال اللاجئين في تونس.

وأسلوب الكتاب أقرب إلى المذكرات التاريخية، لكنها جاءت بصبغة ولغة أدبية، ورغم ذلك فهي تقدم حقائق تاريخية هامة حول الحياة في مراكز الأطفال بتونس.

وجاءت فكرة تأليف الكتاب في أن صاحبه وبحكم معايشته للأطفال اللاجئين فكّر في تدوين معاناتهم حتى تبقى راسخة في أذهان الجيل القادم، وحتى يطلعوا على الحقائق التي تثبت أن الثورة لم تكن فقط بالسلاح والرجال بل بالكتابات والأطفال أيضا[5].

وللكتاب قيمة تاريخية هامة فهو يضم العديد من الحقائق المتعلقة بأوضاع الطفولة اللاجئة في تونس، خاصة وأن كاتبه كان في قلب مراكز الطفولة معلما ومشرفا.

2-**اللجوء إلى تونس:**

أ-**تعريف اللاجئ:**

جاء في معاهدة اللاجئين للأمم المتحدة لعام 1951: "اللاجئ هو الشخص الذي بسبب مخاوف حقيقية من اضطهاد بسبب العرق، الدين، الجنسية، انتمائه إلى طائفة اجتماعية معينة أو ذات رأي سياسي، تواجد خارج البلد الذي يحمل جنسيته، وغير قادر بسبب هذه المخاوف الاعتماد على حماية دولته أو العودة لبلده بسبب المخاوف من الاضطهاد"، لكن هذا التعريف يبقى غير واضح ولا يستخدم بطريقة ثابتة.

والتعريف الأكثر دقة هو ما ورد في دائرة المعارف البريطانية، حيث جاء فيها: "إن اللاجئين هم الأشخاص الذين يجبرون على ترك بيوتهم خوفا من الاضطهاد سواء بشكل فردي، أو جماعي لأسباب سياسية، أو دينية، أو عسكرية، أو لمشاكل أخرى"[6].

**ب-دواعي اللجوء إلى تونس:**

بدأت موجة الهجرة إلى تونس منذ 1830، عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وبعد اندلاع الثورة التحريرية وسياسة التضييق التي مارسها الاستعمار الفرنسي لمحاصرة الثورة، والوضع الاقتصادي الصعب الذي مر به الجزائريون، اضطر على إثر ذلك عدد هام منهم إلى الالتحاق بتونس، خاصة بعد استصدار قانون الطوارئ في أفريل 1955، وشن عمليات عسكرية على المناطق الحدودية الشرقية وإنشاء مناطق محرمة على طولها، تمهيدا لإقامة الأسلاك الشائكة "خط موريس"، ثم جاءت أحداث ساقية سيدي يوسف في 08 فيفري 1958 لتكتب صفحة دموية في تاريخ الشعبين[7]، وراح ضحية هذه الأحداث عدد كبير من التونسيين واللاجئين الجزائريين.

وبالتالي فإن اللجوء إلى تونس لم يكن رغبة في الحياة الهادئة بعيدا عن أجواء الحرب، بل أجبرتهم الظروف القصرية على مغادرة أراضيهم.

اجتاز مئات الأطفال والنساء والشيوخ الحدود بمفردهم، واضطروا لبناء أكواخ للإقامة فيها مؤقتا، لكنهم عانوا من نقص الغذاء والأمراض (السل، الزحار، الرمد الحبيبي، الكساح، الكزاز...)، ونتيجة الصدمات النفسية برزت مشكلة فقدان العقل عند الكثير من اللاجئين، لكن رغم كل هذه الظروف كان العلم الوطني يرفرف فوق الأكواخ البالية، فألبستهم رثة والعلم نظيف[8]، وهي رسالة قوية أن هذا الشعب متمسك بوطنه وبحريته وبوجوده.

بعض الأطفال وصلوا إلى مراكز اللاجئين بعد مغامرات قصيرة ومحاولات للانضمام لجيش التحرير الوطني، وكانوا في مراكز الأطفال يتبادلون حكاياتهم، وآلامهم، كيف فارقوا أهاليهم، فمنهم من قتل الجيش الفرنسي والده، وشرد أمه، ومنهم من أكلته كلاب الجيش الفرنسي كما هو حال الطفل بلقاسم المتواجد بمركز الطفولة "تالة" على الحدود، والذي نهشت الكلاب جسد والده أمامه، فأصبح نتيجة ذلك يعاني من عقدة نفسية[9].

وقد وجد اللاجئون الجزائريون كل الترحيب من الأشقاء التونسيين، فاستقر أغلبهم بالمدن الحدودية بينما واصل البعض رحلته واستقر بالمدن الداخلية [10].

لقد كان لجوء الكثير من العائلات الجزائرية إلى تونس بمثابة النضال المشترك ووحدة الهدف بين الشعبين الجزائري والتونسي، فمفهوم الوحدة والنضال من أجل القضاء على الاستعمار، وتحقيق الوحدة بين أقطار المغرب العربي، حاضرا في أدبيات وتصورات أقطاب التحرر في بلدان المغرب خاصة تونس والجزائر، حيث عملت التنظيمات والأحزاب السياسية بالتنسيق مع بعضها لتأكيد التضامن وهو ما يفسر التحاق عدد من الثوريين الجزائريين بالثورة التونسية بين 1953 و1954، ومن العوامل التي شجّعت على ذلك الروابط الاجتماعية العميقة بين سكان المناطق الحدودية خاصة، والاحتكاك من خلال العمل والتعليم[11].

وأكدت جبهة التحرير الوطني في بيان أول نوفمبر 1954 ارتباط الثورة التحريرية بالمغرب العربي ووحدة الشمال الإفريقي، حيث جاء فيه: "والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية التي تهدف إلى الاستقلال في إطار الشمال الإفريقي"، وأكد البيان على تأثير المقاومتين التونسية والمغربية على الجزائريين: "أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد، فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقيا".

وقد خلّفت الهجرة الجزائرية إلى تونس خلال الثورة التحريرية جملة من النتائج على مختلف الأصعدة، حيث استفاد اللاجئون من مستوى تعليمي يرتكز على مبادئ الهوية الإسلامية، وتحقق مبدأ التضامن والتكافل بين الشعبين الشقيقين.

**ج-تزايد وتيرة اللجوء نحو تونس:**

لاقت السلطات الفرنسية ممثلة في سفارتها بتونس صعوبات في تحديد عدد اللاجئين الذين تطلق عليهم "الفرنسيين المسلمين للجزائر المقيمين بتونس" "Les français Musulman d'Algérie"، حيث قدّمت رقمين متضاربين شككت في صحتهما، الرقم الأول هو: 66845 لاجئ، والرقم الثاني الذي أكّدت بأنه مبالغ فيه، هو: 120.000 لاجئ جزائري في تونس، وفي الأخير قدّرت عددهم بين 75.000 و80.000 لاجئ، فيما قللت السكرتارية العامة الفرنسية عددهم إلى 25000 لاجئ بتونس.

أما إحصائيات جبهة التحرير الوطني فإنها تشير إلى أن عددهم وصل في جوان 1958 إلى 130.000 لاجئ، 55% منهم أطفال، و20% نساء، وتمركزوا في عدة مناطق حدودية كما يأتي[12]:

| | |
|---|---|
| مدينة تونس وما جاورها | 11682 |
| مدن وسط الشمال | 1682 |
| الكاف | 50616 |
| سوق لربعاء | 32860 |
| باجة | 2895 |
| الجنوب | 23885 |
| المجموع | 123620 |

وبغض النظر عن اختلاف الأرقام المقدمة، فإن عدد اللاجئين الجزائريين قد شهد تصاعدا كبيرا خاصة في ظل اشتداد السياسة الاستعمارية قوة وحدة بهدف القضاء على الثورة التحريرية.

3-**مراكز الطفولة بتونس**:

تم إنشاء مراكز للطفولة الجزائرية بتونس، سميت ب "دور الطفولة الجزائرية"، وكانت تتواجد بالعاصمة التونسية ومنها مركز "ياسمينة" في مدينة المرسى بضواحي تونس وأيضا مراكز: "سيدي بوسعيد"، "السرور"، "رمسيس" -عيسات إيدير فيما بعد- "أريانة المدينة"، وأريانة الفلاحية"، وكان المركز يضم ما بين 200 إلى 300 طفل جزائري وتتفاوت الأعداد حسب قدرة استيعاب كل مركز [13].

وكانت بعض المراكز تقع على الحدود الجزائرية التونسية، لكن الظروف فيها كانت صعبة بسبب بعدها عن العاصمة وقربها لمناطق الحرب والاشتباكات، كما هو حال دار "تالة" التي انتقل إليها الكاتب من دار "ياسمينة" الواقعة بالعاصمة تونس.

يصف عبد الرحمان ناصر مركز الطفولة الذي أشرف على التعليم به، فهو بناية قديمة وواسعة، خالية من الأثاث ماعدا الأغطية، تتكون من غرف مفتوحة لبهو واسع، وغرفة مخصصة للإطعام خالية من الطاولات والكراسي.

وكان مسؤول المخيم يكلف طفلين بحراسة الإدارة ليلا والجو بارد، فاكتشف عبد الرحمان ناصر أن حياة القسوة والشدة التي يريد "السبتي" أن يربي عليها أطفال المخيم رغبة منه أن يكونوا مقاتلين حقيقيين، خاصة وأنه رجل عسكري لأنه عمل ثماني سنوات في الجيش الفرنسي وشارك في اللفيف الأجنبي في الفيتنام [14]، ومن هنا يبدوا أن الرجلين غير متوافقين في طريقة التفكير،

فالأول "السبتي" رجل عسكري، والثاني "عبد الرحمان ناصر" رجل تعليم ومثقف، لكن بمرور الوقت أصبحا يتفقان على الكثير من الأمور.

وكانت دار الطفولة تشهد بعض التغييرات كلما وفد إليها مسؤول جديد، فعند تعيين "سي الحسين" قرر إلغاء حجرتين من الحجرات المخصصة للتدريس وتهيئتها ليصلي فيها الأطفال، رغم أن المسجد لا يبعد سوى بمائتي متر عن المركز، كما قرر تحويل قاعة الأشغال اليدوية إلى خلية الحزب يجتمع فيها بعض المسؤولين، وهو ما خلق تذمرا كبيرا لدي المربين[15].

وتجدر الإشارة هنا إلى اختلاف الحياة بين مراكز الطفولة ومخيمات اللاجئين، ففي مراكز الطفولة يتواجد فقط الأطفال والأوضاع الصحية مقبولة، والنظافة متوفرة وحتى الطعام والمؤونة، ويتلقى التلاميذ تعليمهم، بينما في المخيمات الظروف صعبة حيث تعيش مختلف الفئات (أطفال، نساء، شيوخ...)، وينتشر الجوع والأمراض والأوساخ، وأطفال المخيمات وإن كان لهم الحظ في الحصول على أدنى تعليم فيكون بطرق تقليدية، ويظهر الفرق بين الصورتين من خلال ملاحظات أطفال المراكز الذين يلاحظون أبناء المخيمات، فيتعجبون من الحياة التي يعيشونها، لذلك قرروا مساعدتهم في تركيب مدرسة جاهزة وصلتهم كهدية من الشعب اليوغسلافي، حتى يتلقى أطفال المخيم تعليمهم في ظروف تشبه تلك التي يتلقى فيها أطفال المراكز تعليمهم [16]، وهنا يظهر تضامن أطفال الجزائر فيما بينهم في أوقات المحن.

**4-طبيعة الحياة في مراكز الطفولة بتونس:**

يمكن رصد مختلف مظاهر الحياة في مراكز الطفولة من خلال ما ورد في "أطفال الحدود" على النحو التالي:

**- الحياة التربوية:**

تخضع مراكز الطفولة لنظام تربوي جزائري، ويشرف على كل مركز مدير ومساعدون، ويتولى عملية التدريس معلمون جزائريون كانوا في معظمهم مجاهدين أو معطوبي حرب جندتهم الحكومة الجزائرية المؤقتة، والبرامج التربوية أيضا جزائرية تتناول تاريخ وجغرافيا الجزائر، كما ترتكز على بعض البرامج التونسية على اعتبار أن الأطفال يجتازون الشهادة الابتدائية في تونس، ثم يواصلون تعليمهم الجامعي وفق المقررات الدراسية التونسية.

وقد سار عبد الرحمان ناصر وفق برنامج عمل تربوي يقوم على ترسيخ مبادئ حرية التعبير دون قيود، شحذ المواهب وهدم التصلب والجمود بالتشجيعات الصادقة، واحترام الجهد المبذول واكتساب وتعزيز الثقة بالنفس [17].

يبدأ التدريس من الساعة الثامنة حتى الحادية عشر، ثم يستأنف من الساعة الثانية بعد الظهر حتى الرابعة مساءً، ويتلقى التلاميذ دروسهم باللغتين العربية والفرنسية، وهناك تفاوت بين التلاميذ في اللغتين، فهناك من يحسن الفرنسية ولا يتقن العربية والعكس، لذلك كانوا يتبادلون المعارف فيما بينهم، ونتيجة إصرارهم على التعلم كانوا يطالبون بإلغاء العطلة الصيفية [18].

وكان الطلبة عندما ينجحون في الامتحانات ينتقلون إلى الثانويات التونسية، حتى وإن اضطر المسؤولون إلى تزوير تواريخ ميلادهم، لأن أغلبهم تجاوز السن القانوني الذي يسمح بالالتحاق بالثانوية، لأنهم لم يلتحقوا بالتعليم الابتدائي في الوقت المحدد نظرا للظروف التي عاشوها في الجزائر [19].

ونتيجة ضعف الامكانيات فقد كانت مكتبات المراكز تفتقر للكتب، وقد ذكرت إيفه بريستير بعض الكتب التي شاهدتها في أحد المراكز، فمنها كتب الفيزياء والرياضيات والأدب والأشعار، وكتب فيكتور هيغو وأشعار مكارينكو [20]، كل هذا أمام الرغبة الملحة في المطالعة مما جعل ادارة المركز تنظم عملية إعارة الكتب بساعتين لكل طفل [21].

- **الحياة الثقافية:**

كانت الفرقة الفنية التابعة لجبهة التحرير الوطني تقيم حفلات فنية في مناسبات مختلفة، وتتنوع هذه النشاطات بين مسرحيات والأناشيد الثورية، من بين الفنانين الذين نشطوا في مركز الطفولة محل الدراسة الفنان الراحل أحمد وهبي وجعفر بك بغنائهما الشجي، والطاهر بن أحمد بعوده الذي يبعث الشجاعة في القلوب المحطمة، ومزمار حماني الذي ينقل الحضور إلى الأوراس الأشم، إضافة إلى الفرقة المسرحية التي يشرف عليها مصطفى كاتب وكان ضمنها يحي بن مبروك وكويرات [22].

كما كانت تقام حفلات بمناسبة ختان أطفال المراكز، وكانت تتمم بإشراف الحكومة الجزائرية المؤقتة وبحضور رئيسها "فرحات عباس" وممثليها [23].

ومن أهم المناسبات التي أقيمت فيه الحفلات الفنية في مركز الطفولة الذي يعتبر الأستاذ عبد الرحمان ناصر أحد مؤطريه، الحفلة التي أقيمت بمناسبة تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، حيث توالى على المنصة عدد من الأطفال لعرض إبداعاتهم الفنية، خاصة الأغاني الشعبية والتمثيليات القصيرة والإيمائيات [24].

وفي أول نوفمبر 1960 احتفل أطفال دار "تالة" بعيد اندلاع الثورة بطريقة خاصة، حيث دخلوا التراب الجزائري وقضوا يومهم مع المجاهدين، حيث استغلوا الفرصة لاستنشاق هواء الجزائر،

والتبرك بتربتها، ومعاشرة أحرارها، حيث توزع الأطفال بين تقنيين عسكريين يشرحون لهم طرق استعمال أسلحة الهاون، وبين مجاهدين يترنمون بألحان شعبية، وكانت طائرات العدو تحلق من الحين للآخر فيختبئ الجميع، وتخللت الاحتفال مجموعة من الأنشطة الفنية الغنائية والموسيقية والتهريجية والبهلوانية [25].

لقد كانت أغنية اللاجئ لأحمد وهبي تصنع الحدث في مخيمات اللاجئين، خاصة في المناسبات والأعياد الدينية، حيث يتم إلقاءها مرفقة بالعزف على الجيتار، وكان الجميع يتأثر بكلماتها لأنها تروي معاناة فراق الأحبة ومرارة الغربة، والتطلع لمستقبل مشرق [26].

تعددت اهتمامات أطفال المراكز ومسيريها، لإيصال نشاطاتهم وإبداعاتهم إلى أقصى نقطة، فكان التفكير في إنشاء جريدة خاصة بالطفل في دار الطفولة بـ "تالة"، سميت جريدة "الطفل الجزائري"، بعد أن تم تزويد المركز بآلة طابعة، وأصبحت الجريدة تصدر كل شهرين بعشر صفحات لكل عدد باللغة الفرنسية –لأن الآلة الراقنة لم تكن مزودة بالأحرف العربية-، وعادة ما كانت نصوص الجريدة مرفقة بالرسوم، وكان النقاش يدور حول طبيعة المواضيع المنشورة في الجريدة، حيث رأى البعض اقتصارها على المواضيع الوطني وأخبار الثورة التحريرية، بينما أكد الآخرون على ضرورة تنويع المواضيع بين السياسة والثقافة والرياضة، وقد حققت الجريدة شهرة جيدة، حتى أصبح أبناء المخيم يفكرون في إصدار كتاب في التاريخ[27].

**- الحياة المدنية والتربية على المواطنة والديمقراطية والحوار:**

الكثير من المحطات التي تحدّث عنها الأستاذ عبد الرحمان ناصر في كتابه "أطفال الحدود"، تبين بروز وعي سياسي كبير وحس مدني لدى أطفال المركز، حيث أصبحوا يفكرون في بناء جمهورية مصغرة –تيمنا بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية-داخل مركزهم الذي يضم حوالي مائة وعشرين مواطنا، يتولون فيها مهاما تنظيمية وتسييرية محدودة، فبعد اجتماع عام سادته أجواء التحاور وتبادل الآراء والأفكار بكل حرية وديمقراطية، صوت الجميع وبالأغلبية على جملة من الاقتراحات.

وتضمنت المقترحات تأسيس حكومة من أربع وزارات (الكساء، الإعلام، التموين، الصحة والعمل)، ويتولى كل وزارة وزيران –كإشارة للتشاركية في العمل والتسيير-، والمترشحون لتقلد المناصب الوزارية يتقدمون متطوعين أو يقترحون من طرف المجموعة، ويكون اعتمادهم عن طريق التصويت برفع الأيدي، ولم يمض وقت على تنصيب الحكومة حتى بدأت الثغرات تظهر، وقد سمحت هذه العملية ببروز فتيان ساهموا في إنجاح برنامج عمل الحكومة، فالتحقوا بعد

أشهر قليلة بجيش التحرير الوطني [28]، ويبدوا أن هذا النمط في تسيير مراكز الطفولة كان منتشرا في العديد من المراكز ولم يقتصر على مركز واحد [29].

لقد كان الهدف من هذه العملية هي إشراك الأطفال في المسؤولية، وتربيتهم قيم الديمقراطية والتداول على السلطة ومراقبة المسؤول، وهي أيضا تجسيد للروابط القائمة بين الطفل والمركز الذي يمثل الدار الجزائرية في خضم الكفاح التحرري، وبذلك خلق طفل متوازن، متعلم، ومسؤول، متخلص من الماضي الاستعماري.

- **بعض المظاهر السائدة في مراكز الأطفال:**

من المظاهر السلبية المسجلة في مراكز الطفولة تدخين الأطفال لأعقاب السجائر، واستخدام التبغ، لذلك قام الأستاذ عبد الرحمان ناصر رفقة طاقم المركز بتنظيم حملات تحسيسية للتحذير من خطورة الأمر، حيث نبّه بأضرار التبغ على الصحة خاصة وأنهم أطفال، إضافة إلى أضراره الاقتصادية [30]، وقد تمكن من القضاء على هذه الظاهرة بحكمة كبيرة، لأن هناك بعض الأطفال وصلوا إلى مرحلة الإدمان، لكنه بفضل متابعتهم تمكن من ضمان إقلاعهم عن التدخين.

واعتاد بعض أطفال المركز على سرقة فواكه البساتين المجاورة، وكانت عقوبة كل من يقوم بذلك أو يتجاوز النظام هو السجن، ومن الحالات التي وقف عليها المؤلف حالة الطفل "الطيب" الذي سرق برتقالا من الجيران بسبب الجوع، واعتبر ذلك فضيحة وراح يقارنها بسجون الاستعمار الفرنسي، خاصة وأن هذا التصرف هو محاربة للنتائج وإغفال للمسببات، خاصة وأن الجزائر تناضل من أجل الحرية [31]، وبعد جهد تمكن الكاتب من إقناع مسؤول المخيم بإطلاق سراح الطفل، وضرورة محاربة الجوع.

وبعدما انتقل الاستاذ عبد الرحمان إلى مركز طفولة يقع على مقربة من الحدود الجزائرية وجد ظاهرة سرقة الأطفال لحاجيات بعضهم، فرغم أنهم لا يملكون سوى حاجيات بسيطة ورمزية، إلا أن التحاق أطفال جدد بالدار يجعل من هذه الظاهرة تتكرر، ولم تقتصر عملية السرقة على زملائهم بل طالت حتى التونسيين وتم الاعتداء على بعضهم والاشتباك مع أطفال القرية، وهنا أصبح من الضروري التدخل لأنه وجب احترام كل ما يتعلق بالبلد المضيف، وتفادي الضرر اللاحق نتيجة هذا باسم الجزائري، لكنها سرعان ما تختفي بعد أن تتم معالجتها من طرف المسؤولين على المركز [32].

وبالتالي فانتقال الكاتب من مركز لآخر كان بمثابة عودة إلى نقطة الصفر، حيث كان في كل مرة يعود ويؤسس للنظام داخل الدار، وهو ما يتطلب جهدا ووقتا كبيرين.

رغم المساعدات الدولية والجهود المبذولة من الحكومة التونسية وجبهة التحرير الوطني والهلال الأحمر التونسي، إلا أن أعداد هامة من اللاجئين ظلوا شبه مشردين في الملاجئ يعيشون ظروف صعبة، لكن الشعب التونسي كان دائما إلى جانبهم حيث اقتسم معهم لقمة العيش.

علما أن مراكز الأطفال اللاجئين في تونس عانت نقصا كبيرا في التموين بالمواد الغذائية والأكسية ومواد التنظيف، ورغم إلحاح مسؤولي المراكز على ممثلي جبهة التحرير الوطني بتونس، إلا أن الوضع بقي على حاله إلى غاية تنقل عبد الرحمان ناصر إلى المكتب وإبلاغ المسؤول المباشر بالوضعية التي يعرفها المركز والتي ولّدت احتقانا لدى الأطفال، لذلك أصبحت مواعيد إرسال المساعدات يوما يُحتفل به.

وكانت مراكز الطفولة المتواجدة في العاصمة تونس أكثر تنظيما وأحسن تموينا من تلك المتركزة على الحدود التونسية الجزائرية، فعلى الأقل حصل الأطفال في المراكز الداخلية على ظروف أحسن، فكان يوضع برنامج غذائي أسبوعي –وإن تعذّر تطبيقه دائما-، وتورد إيفه بريستير تفاصيل البرنامج الغذائي لأحد مراكز الطفولة، حيث تتنوع الوجبات المقدمة خلال أيام الأسبوع بين اللوبياء والمعكرونة والبازلاء والسمك (أرخص الأصناف) والأرز والكسكسي –دون لحم-، وفي الصباح يتناول الأطفال كوبا من الحليب مع قطعة من الخبز [33].

ورغم النقص الشديد في التموين بالمواد الغذائية، إلا أن الأطفال لم يكترثوا بذلك بقدر ما كانوا يستاؤون من نقص الأدوات المدرسية من دفاتر وكتب وأقلام.

**5-جهود التكفل باللاجئين:**

**أ-جهود الحكومة والشعب التونسي:**

قدّمت السلطات التونسية تسهيلات كبيرة للاجئين الجزائريين، حيث وظّفت بعضهم في إدارتها، وأمّنت لهم جملة من التسهيلات، وربطت الاتصالات الدولية بالتنسيق مع جبهة التحرير الوطني، من أجل طرح قضية اللاجئين على هيئة الأمم المتحدة والمندوبية السامية للاجئين، وقد تفاعل الصليب والهلال الأحمرين مع دعوات الإغاثة، حيث جاء في أعقاب الندوة الدولية العالمية التي نظمت من طرف الهيئتين بنيودلهي بين 24 أكتوبر إلى 07 نوفمبر 1957: "بما أن عددا كبيرا من الجزائريين، معظمهم من النساء والأطفال، اضطرتهم حوادث الجزائر إلى الهجرة فلجئوا إلى تونس والمغرب، وبما أن أغلبية هؤلاء اللاجئين المتزايد عددهم كل يوم يوجدون في حالة احتياج

تام، ... وبما أن الإعانات التي قدمتها الحكومتين التونسية والمغربية، واللجنة الدولية للصليب الأحمر وجمعية الهلال الأحمر التونسي وجمعيات أخرى متمسكة بمبادئ الهلال الأحمر، لم تكف لدفع الخطر الكبير الذي يهدد حياة هؤلاء الضحايا البريئة".

وإثر هذا النداء تضاعفت المساعدات الموجهة للاجئين الجزائريين بتونس، حيث استقبلت الحكومة التونسية ما قيمته 22 مليون دولار أمريكي بين 1959 و1962، لكن حدث خلاف حول طريقة توزيعها بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والحكومة التونسية، ولم يتم تجاوزه إلا في سنة 1960 [34].

وجدت الحكومة التونسية صعوبات كبيرة في توزيع المساعدات على اللاجئين الجزائريين بسبب تنقلهم المستمر على الأراضي التونسية، وعدم التزامهم بمكان معين، مما صعّب في ضع إحصاء دقيق لأعدادهم الكثيرة.

ولم يقتصر دور السلطات التونسية على استقبال اللاجئين واسعافهم وتوزيع المساعدات الإنسانية، بل تعداه إلى العمل على تحسين ظروفهم وإقامة مختلف النشاطات والاتصالات، كما أن المدارس والمؤسسات الاستشفائية التونسية كانت مفتوحة أمام الجزائريين.

سهرت السلطات التونسية على رعاية شؤون اللاجئين والتخفيف من مأساتهم، ودافعت عن قضيتهم في المنابر الدولية، واستنجدت بهيئات الإغاثة العالمية، ورغم هذا الدعم الشعبي والرسمي العام فإن الوصاية على قضية اللاجئين والتمثيل الاجتماعي للجزائريين وطريقة توزيع المساعدات خلق كثيرا من الخلافات بين الحكومات التونسية وجبهة التحرير الوطني [35].

هذا على المستوى الحكومي، أما على المستوى الشعبي فقد كان الأشقاء التونسيون يدعمون الأطفال اللاجئين ويقفون إلى جانبهم رغم حالتهم الصعبة أيضا، ومن مواقف التضامن التي وردت في الكتاب محل الدراسة، بمناسبة عيد الأضحى وفي جو من الحزن العميق، على قضاء العيد بعيدا عن الأهل من جهة وعدم وجود الأضحية من جهة ثانية، يأتي رجل تونسي إلى المركز ويطلب مرافقته إلى السوق أين قام باقتناء كبش لصالح أطفال المركز، فكانت فرحة الأطفال عارمة بهذه الالتفاتة الجميلة، وزادت الفرحة عندما وصل كبش آخر من مركز القيادة، وشاتين باسم التجار الجزائريين [36].

وما هذا إلا مثال بسيط عن الدعم الكبير الذي قدمه الشعب التونسي ليس للاجئين هناك فحسب، بل حتى للثورة التحريرية في الداخل.

وإلى جانب الدعم الشعبي قدّمت المنظمات والهيئات العمالية والنسوية والطلابية دعمها للاجئين عموما وللأطفال خاصة، فإلى جانب دعمها كانت تعمل على حث المنظمات الإنسانية والخيرية الوطنية والدولية لتقديم المساعدات للاجئين.

**ب-جهود جبهة التحرير والحكومة المؤقتة:**

توجهت عناية الجبهة للاهتمام بالأطفال اللاجئين، بما أنهم يمثلون الفئة الهشة، فعملت على رفع الأمية ودمجهم في الحياة الاجتماعية، وسعت إلى تكوين الطلبة في الجامعات والمعاهد ومراكز التكوين المهني، كما أطّرتهم في الجمعيات الرياضية والثقافية.

وأشرفت مصلحة اللاجئين التابعة للجنة الشؤون الاجتماعية، على وضع عدة هياكل في خدمة اللاجئين في كل من تونس والمغرب، حيث تم بين 1956-1958 إنشاء:

- 10 مدارس للتعليم.
- 16 صحيا.
- 18 مخيم.
- 06 فروع لمراكز التكوين المهني والإدماج الاجتماعي [37].

وبمرور الوقت تضاعف عدد هذه الهياكل حتى تتمكن من استيعاب العدد الكبير من اللاجئين خاصة الأطفال والأيتام.

ولم يكن عمل الحكومة المؤقتة مقتصرا على الجانب السياسي للكفاح المسلح من أجل التحرير فحسب، وإنما كان اهتمامها أيضا منصب حول مستقبل جزائر ما بعد الاستقلال والدليل هو الاهتمام المتزايد بالطفولة اللاجئة في عز الثورة التحريرية، بهدف غرس الروح الوطنية في جيل المستقبل وإعداده لمهمة التحرير.

حيث اهتمت وزارة الشؤون الاجتماعية باللاجئين الجزائريين، خاصة بعد انتقال الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إلى تونس، حيث نظمت الملاجئ وأنشأت المستشفيات والمراكز الصحية، وبذلك دعمت نشاط الهلال الأحمر الجزائري الذي تأسس في 1957/01/18، كما عينت المرشدين الاجتماعيين والسياسيين وجنّدتهم لإلقاء الدروس والخطب، كما أنشأت المدارس وسطّرت المناهج التربوية، كما كونت وزارة الشؤون الاجتماعية في سنة 1960 "اللجنة الوطنية للشبيبة وإنقاذ الطفولة"، وهي هيئة تختص بشؤون الطفولة ورعايتهم.

وقد سعت الجزائر إلى إيصال صوت معاناة اللاجئين الجزائريين إلى مختلف المنابر الدولية، ومن ذلك المؤتمر الرابع للاتحاد النسائي الديمقراطي المنعقد في فيينا بين 01 و05 جوان 1958، حيث

طرحت فيه قضية اللاجئين الجزائريين، فجاء على لسان ممثلة الجزائر: "... وأناشدهم بصوت متألم لفائدة مئات الآلاف من اللاجئين من النسوة والأطفال والشيوخ الفارين من هول الحرب"، ومما خرج به المؤتمر التضامن العملي مع المرأة الجزائرية والوعد بزيادة الإعانات المادية للاجئين الجزائريين خاصة الأطفال [38].

وبذلك فقد شهدت مراكز الطفولة والمخيمات التي تأوي اللاجئين تحسنا ملحوظا في الوضعية الاجتماعية، خاصة بعد أن أصبحت تحت وصاية وزارة الشؤون الاجتماعية [39]، حيث تم تحويل المركز الذي كان الأستاذ عبد الرحمان ناصر يشرف على التعليم فيه إلى دار جديدة تتوفر على مختلف شروط الحياة، وتسمى "دار ياسمينة"، وانتهت أزمة نقص الموظفين حيث تم تعيين المعلمين وحتى البستانيون [40].

**د-جهود المجتمع الدولي:**

من صور التضامن الدولي مع الأطفال الجزائريين اللاجئين بتونس، الالتفاتة التي قام بها الشعب اليوغسلافي تجاه الجزائريين، حيث وصلت في 29 مارس 1961 باخرة يوغسلافية إلى ميناء تونس محمّلة بأربعة مدارس جاهزة يرافقها مهندس يوغسلافي لغرض تركيبها [41].

وتلبية لدعوة من تشيكوسلوفاكيا انتقل مجموعة من أطفال اللجوء رفقة بعض المسيرين من بينهم الكاتب عبد الرحمان ناصر، لقضاء العطلة في أحد المخيمات، وفي إحدى حفلات الرقص للأطفال تفاجأ الجزائريون ببعض المظاهر التي لم يعتادوا رؤيتها، فقد اقتربت إحدى الفتيات لطفل جزائري وأدخلته حلبة الرقص وسط حياء كبير، وهكذا مع بقية الأطفال، وهنا أدرك الأطفال الجزائريون الاختلاف الكبير في طريق الحياة والتفكير بين الجزائري والأوروبي، وطلب مسؤول الوفد الجزائري من مسؤول المخيم أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار وهو ما كان في الأيام الموالية [42].

تنوعت النشاطات في المخيم بين ألعاب القوى وكرة القدم والتجديف والقفز الطويل والعدو، وخلال كل هذا المسابقات عاش الأطفال الجزائريون رفقة التشيكيين وغيرهم مغامرات رائعة، فاز الجزائريون بمراتب متقدمة في بعض الرياضات، بينما لم يتمكنوا من المنافسة في رياضات أخرى، ومن أجمل وأرسخ اللحظات التي عاشه الوفد الجزائري لحظة رفع العلم الوطني [43].

وعندما وصل وقت المغادرة كانت القوات الفرنسية قد اقتحمت بعض المناطق الحدودية التونسية بحجة الملاحقة والمتابعة، فاضطرت السلطات التشيكوسلوفاكية تمديد مدة إقامة الوفد الجزائري إلى غاية تحسن الأوضاع [44].

لقد سمحت هذه الرحلة لأطفال الجزائر بالتعرف على الآخر، ونسج علاقات وبناء صداقات جميلة مع أطفال أوروبا، فكان الفراق صعبا، لكنهم أيضا اكتشفوا حجم تعاستهم مقارنة بالأوضاع التي يعيشها أطفال الغرب.

**6-دور أطفال اللجوء في الثورة التحريرية:**

كانت القضية الوطنية حاضرة بقوة في مراكز الطفولة، حيث كان الأطفال متشبعون بالأفكار الثورية التحررية، وكانوا يتجاوبن مع مختلف القضايا الوطنية، فعند إعلان تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958 وتقديم الشروحات للأطفال من طرف المعلمين حول هذا الهيكل الجديد الذي يضاف لمؤسسات جبهة التحرير الوطني عم المركز موجة هستيرية من الفرح والصياح فرحا بهذا الانتصار الجديد [45].

والكثير من أطفال المراكز الذين بلغوا سن 18 سنة التحقوا بجيش التحرير وكلهم حماس لحمل السلاح وتحرير الوطن [46]، وذكر الأستاذ عبد الرحمان أن مجموعة من فتيان المركز الذي انضم إليه التحقوا بجيش التحرير الوطني [47]، خاصة وأنهم يصرون كثيرا على الانخراط في صفوف جيش التحرير الوطني لمحاربة الاستعمار الفرنسي، وكخطوة أولى يتم استدعاء بعض العسكريين للحديث مع التلاميذ الراغبين في الالتحاق بالداخل، وإذا أدركوا مقدرتهم على التأقلم ورغبتهم في ذلك يقومون بإدخالهم عبر الحدود [48]، وكانت طلبات الالتحاق بالمجاهدين بالجبال عادة ما يتم رفضها من طرف مسيري المراكز، حيث يقول الأستاذ عبد الرحمان:

"تلقيت ما لا يقل عن ثلاثين تقرير من نوع:

تقرير إلى الأخ المدير

أرجوكم اسمحوا لي أن أؤدي واجبي، أريد العودة إلى الجبل،

تحيات أخوية.

وكنت أجيب عليها بنفس الطريقة في أغلب الأحيان –كانت إجابات معدّة مسبقا-بصبر، ولكن بعزم:

إلى الأخ التلميذ:

واجبك: تعلّم.

خنجرك: الريشة.

ميدان معركتك: الكراس.

تحيات مدرسية" [49].

ورغم ذلك تمكن عدد هام من خريجي مراكز الأطفال اللاجئين من الانضمام لصفوف الثورة التحريرية وكانوا وقودا لها، ودفعا قويا ساهم في إعطاء نفس جديد لها، فقد التحق مئات اليتامى بمدارس أشبال الثورة ومدارس إطارات الثورة، في العديد من المراكز التونسية: ملاق، غارديماو، قرن حلفايا، مركز زيتون1، كما التحق بعضهم بالعمل السياسي في إطار جبهة التحرير الوطني.

ورغم الأوضاع الصعبة التي يعيشها الأطفال اللاجئون في تونس، إلا أنهم كانوا يقومون بجمع وتخصيص جزء من المساعدات التي تصلهم لتقديمها للمجاهدين في الداخل، إيمانا منهم بضرورة العمل من أجل تحرير الجزائر، حيث ساهموا بالألبسة والمواد الغذائية والأسلحة.

كما أن المساعدات التي كانت جبهة التحرير الوطني تتلقاها باسم اللاجئين، وجّه جزء هام منها لجيش التحرير الوطني، وبذلك اتبعت الجبهة سياسة التمويه للحصول على أكبر قدر من المساعدات الدولية، وبهذا شارك اللاجئون في دعم الثورة التحريرية وإن بطريقة غير مباشرة في هذا الجانب.

وبذلك فقد ساهم أطفال اللجوء في الثورة التحريرية بطريقتين الأولى مباشرة من خلال التحاقهم بالثورة وبجيش التحرير والانخراط في العمل السياسي لجبهة التحرير الوطني، والتعريف بالقضية الجزائرية في الخارج من خلال تمثيل جبهة التحرير في بعض المنافسات الرياضية والمشاركة في المخيمات الدولية، والطريقة الثانية غير مباشرة وهي حصول جيش التحرير الوطني على التموين بالأغذية والألبسة التي تصل على شكل مساعدات إنسانية للاجئين.

**7-أطفال اللجوء بعد الاستقلال:**

بعد وقف إطلاق النار بدأت الاستعدادات للعودة إلى أرض الوطن، وكان الشوق كبيرا لرؤية الجزائر متحررة، ففي أواخر جوان 1962 بدأت الشاحنات تنقل الأطفال إلى الحدود، وتنزلهم في مخيمات اللاجئين، أين تكفلت بعض العائلات بالأطفال، وتعرف بعضهم على معارفهم [50].

وأعدت جبهة التحرير الوطني مئات الخيام التي نصبتها على طول الحدود الجزائرية التونسية، وجعلتها نقاط استقبال للاجئين، وزودت هذه المراكز بلجان لمراقبة الحالة المدنية لكل لاجئ، وبأطباء وممرضين لإسعاف المرضى، كما وزعت مواد تموينية متنوعة، وسخّرت وسائل النقل لإعادة اللاجئين لمناطقهم الأصلية [51].

وقد تفرق أطفال المراكز الحدودية نحو أهاليهم، أما الذين فقدوا أهلهم فإنهم بقوا تحت رعاية الحكومة المؤقتة بقيادة بن يوسف بن خدة وألحقوا فيما بعد بـ "دار الجيل الجديد" ومقرها بحيدرة تحت رعاية المجاهدة "جميلة بوحيرد"، وكان يسيرها المدير عبد الرحمان ناصر.

وبذلك فقد قامت الجبهة بعد الاستقلال برعاية جمع الأطفال الذين وجدوا أنفسهم دون مأوى فاحتضنتهم في مخيمات أقيمت خصيصا لهم، وتم إنشاء أول قرية اشتراكية على الحدود الجزائرية-التونسية تخضع لنظام جبهة التحرير تسمى "قرية المجاهد" [52].

وقد كان للأطفال اللاجئين دور هام في بناء وتشييد الدولة الجزائرية العصرية، خاصة أن أغلبهم تلقى تعليما مقبولا في الثانويات والمعاهد التونسية بعد تخرجهم من المراكز.

**خاتمة:**

من خلال بحثنا في الموضوع انطلاقا من كتاب "أطفال الحدود"، يمكن أن نسجل جملة من النتائج كالآتي:

- تعتبر الهجرة واللجوء خلال الثورة رد فعل إيجابي، وليست هروبا من الحرب بقدر ما كانت بحثا عن فرص أخرى لتقديم الدعم للمسيرة التحررية بالجزائر ورفض السياسة الاستعمارية، علما أن قضية اللاجئين كانت تشكل عقبة كبيرة أمام فرنسا، ورغم أن اللاجئين الجزائريين كانوا يعيشون خارج وطنهم، إلا أنهم لم يشعروا بأنهم غرباء في تونس، وكانوا يعيشون على أمل النصر والعودة إلى الوطن.

- أغلب الأطفال الذين دخلوا تونس دون عائلاتهم استقبلتهم مراكز الطفولة التي حاولت تقديم التربية والتعليم، وعملت على تحسين ظروف الأطفال وإعدادهم للمهام المستقبلية النضالية والبنائية، وهي الفرصة التي لم يتمكن منها غالبا الأطفال الذين استقروا بالمخيمات الحدودية رفقة عائلاتهم.

- بعض مراكز أطفال اللاجئين سيّرت تسييرا عسكريا، لأن أغلب المسؤولين عنها عسكريين سابقين، ما انعكس على تفكير الأطفال، فأصبحوا لا يفكرون إلا في أن يصبحوا جنود لمحاربة الاستعمار، أو طيارين لإلقاء القنابل على فرنسا، وهو ما يعبر عن ضيق أفق بعض مسيري مخيمات ومراكز الأطفال، لكن الوضع يتغير بمجرد تأطير هذه المراكز بمربين متخصصين، ساهموا في إثراء الحياة التربوية والثقافية بمراكز الطفولة.

- ركزت مراكز الطفولة على الأنشطة التربوية التي تنوعت بين تقديم الدروس والمطالعة وإصدار المجلات، وكان البعد الوطني حاضرا في البرامج التربوية المعتمدة في المراكز، مع مسايرتها للبرامج

التونسية، لأن الطفل سيجد نفسه في الثانويات والمعاهد الأوروبية بعد نجاحه في الامتحانات المنظمة بالمراكز، كما تنوعت الأنشطة الثقافية المبرمجة بين التمثيل والمسرح والفنون التشكيلية ...، كله من أجل تكوين طفل جزائري سليم التفكير مبدع وخلّاق، كما عملت على محاربة بعض المظاهر السلبية المنتشرة بين الأطفال، وغرس مبادئ الديمقراطية وتثبيت قيم الحوار والتداول على السلطة والمسؤولية المشتركة.

- كان أطفال اللجوء محور عمل تضامني، انخرطت فيه الحكومة والشعب التونسي والمجتمع الدولي المتعاطف مع القضية الجزائرية، وبتوجيه من جبهة التحرير والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والهلال الأحمر الجزائري، وقد كان الدعم المقدم من طرف السلطات التونسية للاجئين الجزائريين، خاصة الأطفال منهم، يبين مدى وقوف الحكومة التونسية مع الثورة التحريرية ومناصرتها لأهداف جبهة التحرير الوطني، رغم حداثة استقلالها وضعف امكانياتها.

- يمكن إرجاع الخلاف الذي وقع بين الحكومة التونسية وجبهة التحرير حول مسؤولية توزيع المساعدات، إلى أن جبهة التحرير كانت تسعى لتخصيص جزء من هذه المساعدات لتمويل الثورة، بينما تقوم السلطات التونسية بتوزيعها على اللاجئين، واعترضت جبهة التحرير على ذلك بحجة أن عملية التوزيع لم تشمل كل اللاجئين.

- تمكنت مراكز الطفولة من تكوين جيل جزائري شاب لغرض القيام بمهمتين أساسيتين، الأولى معركة التحرير، والثانية معركة البناء، حيث كانت هذه المراكز خزانا للطاقات التي موّلت الثورة بعسكريين مقتدرين وشكلت قاعدة خلفية للثورة، وزوّدت الدولة الجزائرية الفتية بإطارات شابة.

- كان لأطفال اللجوء دور بارز وفعّال في دعم الثورة التحريرية ماديا ومعنويا، بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ومن ذلك استغلال جبهة التحرير لقضيتهم في طلب المساعدات وتوجيه جزء منها إلى الداخل لتموين الثورة، ليس هذا فحسب فحتى المساعدات الموجهة للاجئين كانوا يتنازلون عن جزء منها لصالح الثورة، لأنهم كانوا يحاولون المساهمة بقدر المستطاع في إنجاحها.

- ساهم الأطفال اللاجئون في التعريف بالقضية الوطنية في المحافل الدولية، من خلال مشاركاتهم في مختلف المنافسات الرياضية الدولية والمخيمات والمنشورات التي كانت تصدر وتوزع على نطاق واسع، حيث حاولوا إسماع صوت الجزائر، وإيصال حقيقة الثورة الجزائرية.

والمفارقة التي نشير إليها أنه ورغم الأهمية والقيمة التاريخية للكتاب لأنه خلاصة تجربة خاضها المؤلف في قلب مراكز اللجوء، إلا أن جل الباحثين الذين درسوا ظاهرة اللجوء واللاجئين

الجزائريين خلال الثورة التحريرية، لم يعودوا إلى ما ورد في الكتاب من مادة تاريخية تخدم الموضوع، خاصة وأن الكتاب يعد مصدرا مهما في هذا المجال، لذلك ننبه إلى ضرورة الالتفات إلى مثل هذه المصادر لبناء رؤية تاريخية تستند إلى الشهادات التاريخية واليوميات المدونة، مع ضرورة التعامل معها بموضوعية في إطار بعدها التاريخي والسياق الذي دوّنت فيه.

**هوامش الدراسة:**

1. عبد الرحمان ناصر: أطفال الحدود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص08.
2. المصدر نفسه، ص244.
3. المصدر نفسه، ص245.
4. حورية ميسوم: المؤرخون يشيدون بمجهودات الدولة بعد الاستقلال في بعث مراكز إيواء الأطفال فيما تعتزم مشعل الشهيد إعادة طبع كتاب" أطفال الحدود"، جريدة الأمة العربية، يوم: 17-02-2010.
5. نفسه.
6. لمياء بوقريوة: اللاجئون الجزائريون في تونس إبان الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962) دراسة نقدية من خلال وثائق الأرشيف الفرنسي، دورية كان التاريخية، العدد: 16، جوان 2012، ص79-80.
7. لمياء بوقريوة: المرجع نفسه، ص81.
8. عبد الرحمان ناصر: المصدر السابق، ص06-07.
9. عبد الرحمان ناصر: المصدر السابق، ص137-138.
10. BEN ATIA FAROUK: Les Action Humanitaires Pendant La Lutte, Liberation, Dahleb, Alger, 1999, P93.
11. لمياء بوقريوة: المرجع السابق، ص101.
12. لمياء بوقريوة: المرجع نفسه، ص83.
13. حنان س: المئات منهم أرسلوا للدراسة في تونس: اهتمام خاص لقيادة جبهة التحرير بأطفال الجزائر، نشر في جريدة المساء يوم: 31-10-2010.
14. عبد الرحمان ناصر: المصدر السابق، ص20.
15. نفس، ص97.
16. نفسه، ص171-172.
17. نفسه، ص47.
18. إيفه بريستير: في الجزائر يتكلم السلاح -نضال شعب من أجل التحرير-، ترجمة: عبد الله ف كحيل، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1989م، ص343.
19. نفسه، ص243.
20. إيفه بريستير: المصدر السابق، ص338.
21. إيفه بريستير: المصدر نفسه، ص338.
22. نفسه، ص71.

23. حنان س: المئات منهم أرسلوا للدراسة في تونس: اهتمام خاص لقيادة جبهة التحرير بأطفال الجزائر، نشر في جريدة المساء يوم 31-10-2010.
24. عبد الرحمان ناصر: المصدر السابق، ص48-49.
25. نفسه، ص146-157.
26. نفسه، ص163.
27. نفسه، ص188-196.
28. نفسه، ص53-58.
29. إيفه بريستير: المصدر السابق، ص335-336.
30. نفسه، ص30-31.
31. نفسه، ص16-17.
32. نفسه، ص107-111.
33. إيفه بريستير: المصدر السابق، ص335.
34. لمياء بوقريوة: المرجع السابق، ص84.
35. مقلاتي عبد الله: النشاط الإنساني للثورة الجزائرية بمراكز اللاجئين وأثره على العلاقات الجزائرية المغاربية، مجلة المصادر، العدد 10 (السداسي الثاني 2004)، ص159.
36. عبد الرحمان ناصر: المصدر السابق، ص164-165.
37. جريدة المجاهد، العدد: 58، يوم: 1959/12/28.
38. مجموعة باحثين: كفاح المرأة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في قلب الثورة التحريرية، مجلة القوات البرية، وزارة الدفاع الوطني، الجزائر، العدد07، مارس 2005، 270-271.
39. عبد الرحمان ناصر: المصدر السابق، ص95.
40. نفسه، ص98.
41. نفسه، ص169.
42. نفسه، ص207-214.
43. نفسه، ص214-220.
44. نفسه، ص226.
45. نفسه، ص44.
46. حنان س: المئات منهم أرسلوا للدراسة في تونس: اهتمام خاص لقيادة جبهة التحرير بأطفال الجزائر، نشر في جريدة المساء يوم 31-10-2010.
47. عبد الرحمان ناصر: المصدر السابق، ص58.
48. نفسه، ص114-115.
49. نفسه، ص131.
50. نفسه، ص244.
51. جريدة المجاهد، العدد: 120، ج4، 30 أفريل 1962، ص362.

52. حنان س: المئات منهم أرسلوا للدراسة في تونس: اهتمام خاص لقيادة جبهة التحرير بأطفال الجزائر، نشر في جريدة المساء يوم 31-10–2010.

**بيبليوغرافيا البحث:**


1. عبد الرحمان ناصر: أطفال الحدود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
2. إيفه بريستير: في الجزائر يتكلم السلاح -نضال شعب من أجل التحرير-، ترجمة: عبد الله ف كحيل، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1989م.
3. مقلاتي عبد الله: النشاط الإنساني للثورة الجزائرية بمراكز اللاجئين وأثره على العلاقات الجزائرية المغاربية، مجلة المصادر، العدد 10 (السداسي الثاني 2004).
4. مجموعة باحثين: كفاح المرأة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في قلب الثورة التحريرية، مجلة القوات البرية، وزارة الدفاع الوطني، الجزائر، العدد07، مارس 2005، 270-271.
5. لمياء بوقريوة: اللاجئون الجزائريون في تونس إبان الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962) دراسة نقدية من خلال وثائق الأرشيف الفرنسي، دورية كان التاريخية، العدد: 16، جوان 2012.
6. حورية ميسوم: المؤرخون يشيدون بمجهودات الدولة بعد الاستقلال في بعث مراكز إيواء الأطفال فيما تعتزم مشعل الشهيد إعادة طبع كتاب" أطفال الحدود"، جريدة الأمة العربية، يوم: 17-02–2010.
7. حنان س: المئات منهم أرسلوا للدراسة في تونس: اهتمام خاص لقيادة جبهة التحرير بأطفال الجزائر، نشر في جريدة المساء يوم 31-10–2010.
8. جريدة المجاهد، العدد: 58، يوم: 1959/12/28.
9. جريدة المجاهد، العدد: 120، ج4، 30 أفريل 1962.
10. BEN ATIA FAROUK: Les Action Humanitaires Pendant La Lutte, Liberation, Dahleb, Alger, 1999, P93.